مالتـــوس
ومشكلة السكان فى مصر

للأستاذ محمد محمد على

يعتبر مالتوس أشهر من كتب فى مسألة السكان ، إذ أثار الرأى العام فى بلاده وفى البلاد الأخرى ، كما نبه الأذهان إلى ضرورة دراسة السكان ، فهى أساس المشكلات الاجتماعية .

وقد ألقى مالتوس ضوءاً جديداً على مسألة السكان وقد أثار هذا جدلا واختلافاً فى الرأى . ولعل ما يعنينا فى مصر هو معرفة الحد الذى تتحقق عنده آراء مالتوس فى مشكلة السكان فى مصر . وللوصول إلى ذلك يجمل بنا أن نعرض آراء مالتوس ونظريته فى السكان ، ثم نلخص النقط الأساسية فى مشكلة السكان فى مصر .

* * *

هنالك دوافع ثلاثة حفزت مالتوس إلى وضع كتابه المشهور : هى حياته وثقافته ، والعصر الذى عاش فيه ، ثم آراء معاصريه . فقد كان أبوه صديقاً لجان جاك روسو ، ونشأ فى بيت تسوده المحافظة على التقاليد ، لذلك كان لا يعتقد فى إمكان إصلاح المجتمع عن طريق الثورة . وفى كمبردج جعلته حياته الدينية يؤمن بملازمة الألم للانسان بسبب وجود الغريزة الجنسية وغريزة البحث عن الطعام .

وكان للعصر الذى عاش فيه أكبر الأثر فى تكوين آرائه ، ووضع نظريته ؛ إذ كانت أوربا — فى أواخر القرن الثامن عشر — فى حالة سيئة نتيجة الثورة الفرنسية ، وانجلترا كانت تسودها أزمة اقتصادية واجتماعية ، فقد ساء المحصول الزراعى فى الريف . وكانت الصناعة تتقدم تدريجياً وزاد السكان تبعاً لذلك ، وحالت الضرائب ورسوم الجمارك دون إزدياد موارد الغذاء . كما نتج عن الاختراعات لتحسين الآلات الاستغناء عن كثير من العمال فانتشرت البطالة وعم البؤس مما أثقل كاهل الفقراء .

وكان من نتيجة كل ذلك ظهور آراء فوضوية بنية الإصلاح . وكان من زعماء الحركة الاشتراكية حينئذ : جودوين الذى كتب بحثاً فى العدالة الاجتماعية ، وكان يعتقد فى طيبة الخير التى تنطوى عليها البشرية ؛ وكندرسيه وكان يرى أن الإنسانية تسير نحو الكمال فى عشر مراحل وأنها كادت تبلغ ذروة الكمال فى عهده .

إذن فالظروف التى سادت فى عصره أوحت إليه بالتشاؤم فأراد أن يحذر مواطنيه من سوء العواقب . ثم إن آراء معاصريه لم ترقه فرغب فى أن يرد عليهم . لذلك وضع مالتوس كتابه وظهرت الطبعة الأولى عام ١٧٩٨ بعنوان طويل اختصره فى الطبعة الثانية عام ١٨٠٣ ويبحث الكتاب فى أربعة موضوعات :

العقبات التى تعترض زيادة السكان فى الأزمنة الغابرة . ثم العقبات التى تعترض زيادتهم فى الأمم الحديثة . ثم دراسة النظم المقترحة لعلاج أضرار زيادة السكان ، وأخيراً عرض آرائه ومقترحاته .

وتتلخص نظريته فى السكان فى نقط ثلاث :

١ — إن عدد السكان يحدد بالغذاء ، فهناك علاقة بين عدد السكان وكمية القوت .

٢ — يزيد عدد السكان كلما زاد القوت إلا إذا وجدت عقبات قوية .

٣ — هذه العقبات التى تجعل ازدياد السكان متناسباً مع الغذاء هى البؤس ، أى المجاعة والحرب والأوبئة ، والرذيلة أى الخيانة الزوجية والعلاقات الجنسية الفوضوية ؛ والضابط الأخلاقى أى تأخير الزواج مع حياة العفة . وهذا العامل الثالث أضافه فى الطبعة الثانية بعد إذ اتهمه الناس بالكفر لظنهم أنه إنما ينسب البؤس والرذيلة إلى قوة إلهية .

فمالتوس يرى أن المجتمع الإنسانى كالكائن الحى فى حاجة دائمة إلى الغذاء . وأن من العبث معالجة الفقر بالتوزيع العادل للثروة . وينسب الفقر فى المجتمع إلى اختلال التوازن بين عدد السكان وموارد الغذاء ، على أن السكان يزيدون على حسب متتالية هندسية والغذاء طبقاً لمتتالية حسابية . لذلك يتضاعف عدد السكان كل ربع قرن : مالم تكن هناك ضوابط إيجابية أو مانعة . ولم ينادِ مالتوس بضبط النسل بل نادى بالضابط الأخلاق .

* * *

هذا عرض عام لآراء مالتوس والظروف التى أحاطت به حين

تأليف كتابه . أما عن مشكلة السكان فى مصر ، فقد تحدثت عنها بإيجاز فى مقال سابق[1] . وأسلمها ازدياد عدد السكان زيادة لا تتناسب مع زيادة الموارد الغذائية ، وسوء توزيع الثروة ، وإحجام أصحاب الأموال والشباب عن خوض غمار الصناعة واستغلال الثروة المعدنية . والآن يمكن أن نتبين مدى تحقق آراء مالتوس فى مسألة السكان فى مصر :

لم يتضاعف عدد السكان فى ربع قرن بل تضاعف فى نصف قرن . وقد يكون هذا راجعاً إلى الضوابط الإيجابية وهى البؤس والرذيلة .

وزاد السكان زيادة خطيرة فى حين أن الغذاء زاد زيادة بسيطة . وهنا يحسن ألا ننظر إلى المسألة بعين مالتوس ، فقد قامت الصناعة فى مصر وبدأت تزدهر منذ ربع قرن وذلك بفضل عاملين : الحرب العالمية الأولى ، والتعريفة الجمركية وحمايتها للصناعة المحلية . وليس من شك فى أن العامل الصناعى يعيش فى مستوى أرفع وأرقى مما يعيش فيه العامل الزراعى ، وأوضح دليل على ذلك تكوين النقابات العمالية واهتمام الحكومات بالعامل الصناعى وخاصة فى (وضع الكادر) والتأمين الاجتماعى ... ومما يبعث على الأمل إمكان ازدهار الصناعة المصرية فى المستقبل ، وغنى مصر بثروتها المعدنية ، وما سيحدثه من تغير عظيم مشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان .

ومن الصعب تنفيذ الضابط الأخلاقى فى مصر فى ظل المدنية الحديثة وما فيها من مباهج و ... حقاً يميل الشباب إلى تأخير الزواج لدوافع اقتصادية واجتماعية ، ومن جهة أخرى يستخدم ضبط النسل بنجاح بين الطبقة العليا والمثقفة .

أما توزيع الثروة توزيعاً عادلا فهذا ليس من العبث كما قرر مالتوس فليس يعيب ثروة مصر كيتها بل توزيعها . إذن لم تتحقق آراء مالتوس كلها كاملة :

ويرى الدكتور وندل كابلند حلاً لمشكلة السكان فى مصر بما يأتى :

١ — العمل على زيادة الموارد الطبيعية زراعية وصناعية .

٢ — تحديد عدد السكان ، بوسائل ضبط النسل .

ويظهر لنا من كتاباته أنه يميل الاتجاه الثانى لأنه لاحظ أن التقدم الحضارى فى أوربا يصحبه نقص فى المواليد ، وذلك لزيادة رغبة الناس فى صحة أحسن وسعادة أعظم وثقافة أرقى ورغبات أسمى ، ولكن تحديد النسل من الصعوبة بمكان تبعاً للتقاليد والعادات والأفكار القديمة .

ولعل من المفيد أن أختم هذا المقال بما اختتم به كابلند كتابه[1] إذ يقول :

إن موقع مصر الجغرافى يجعل من الصعب عليها أن تحل مشكلاتها وحدها بل لا بد من التعاون مع جاراتها ، ذلك لأن النيل دولى : Nile is international

محمد محمد علي
ايسانيه فى الآداب

(١) حول مشكلة السكان فى مصر : الرسالة عدد ٨٢٤ .

(١) Ths Population Problem In Egypt, 1936

فى أصـــول الأدب

للأستاذ أحمد حسن الزيات

كتاب فى الأدب والنقد ؛ يتميز بالبحث

والعمق والتحليل الدقيق والرأى المبتكر .

من موضوعاته : الأدب وحظ العرب من تاريخه ، العوامل المؤثرة فى الأدب ، النقد عند العرب وأسباب ضعفهم فيه ، تاريخ حياة ألف ليلة وليلة ، أثر الثقافة العربية فى الشعر والعالم ، الرواية المسرحية والملحمة و تاريخهما وقواعدهما وأقسامها وكل ما يتصل بهما ، وهو بحث طريف يبلغ نصف الكتاب .

طبعة جديدة مزيدة فى ٢٥٠ صفحة من القطع

المتوسط وثمنه خمسة وعشرون قرشاً